تقنيات الوصف في رحلة "الإفادة والاعتبار" لعبد اللطيف البغدادي

The techniques of describing in the journey of " Benefit and Consideration" by Abd EL latif al-Baghdadi

تاريخ الاستلام : 2019/11/18 ؛ تاريخ القبول : 2020/11/22

ملخص

يسعى هذا المقال إلى استكناه عالم النص الرحلي من خلال البحث في تقنيات الوصف ضمن مصنف "الإفادة والاعتبار" للرحالة عبد اللطيف البغدادي، وذلك بالتركيز على أبرز أنماط الوصف الموظفة في نصوص الرحلة وأهم وظائفه الدلالية.

وقد تبينا من خلال دراستنا أنّ موضوع الوصف في أدب الرحلات لم يلق الاهتمام البالغ بالمقارنة مع أصناف السرد الأخرى كالرواية والقصة، لذا كانت الرغبة الملحة في اقتحام النص الرحلي والبحث في كيفية توظيف تقنية الوصف التي تعد أبرز تقنيات الكتابة السردية عند الرحالة، معتمدين في ذلك على جملة من المفاهيم الإجرائية لنقاد معاصرين من أمثال فيليب هامون، وجيرار جينيت.

الكلمات المفتاحية: الرحلة؛ الإفادة والاعتبار؛ أنماط الوصف؛ وظائف الوصف.

* رزيقة رويقي

كلية الآداب واللغات، جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر.

Abstract

This article seeks to acquire and clarify the world of a nomadic text .This can be done by researching the description techniques in "Benefit and Consideration" by the traveler Abd El Latif al-Baghdadi and by emphasizing on the mostimportant description patterns used in the texts of the trip and the most important semantic functions.

In our study, we noticed that the subject of description in travel literature did not get so much attention and care compared to other narrative fields such as fiction and story. So there was a strong need to know some concepts from nomadic texts and how to use the description technique , which is the most prominent narrative writing style for travelers .It was based on a set of procedural concepts of contemporary critics such as Philippe Hamon and Gerard Jeanette

Keywords: The journey; benefit and consideration; description patterns; description function

Résumé

Cet article cherche à permettre au monde du texte nomade de rechercher les techniques de description dans le livre "avantages et considération"du voyageur Adb El Latif al-Baghdadi en se concentrant sur les schémas de description les plus importants employés dans les textes du voyage et les fonctions sémantiques les plus importante. Dans notre étude, nous avons constaté que le sujet de la description dans la littérature de voyage n'avait pas attiré beaucoup d'attention par rapport à d'autres catégories narratives telles que fiction et récit, d'où l'envie de percer dans le texte de voyage et de rechercher comment utiliser la technique de description, qui est la technique de rédaction narrative la plus importante pour les voyageurs. Une série de concepts procéduraux pour les critiques contemporains tels que Philippe Hamon et Gerard Jeanette

Mots-clés: parcours ; avantages et considérations ; modèles de description.

* Corresponding author, e-mail: rouiguiraziqa@gmail.com

© جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر 2020

مقدمة:

تتأسس الرحلة كنشاط بشري يقوم به الإنسان على الرغبة الداخلية للفرد في حب التنقل والاكتشاف والمعرفة، لذا تتحكم الرغبة في مسار الرحلة وما تثمره من مكتسبات ومصنفات ؛ حيث نجد الرحالة لم يكتف بالتنقل والمشاهدة بل آثر أن يدون كل مشاهده ويعبر عن تجارب رحلته في إطار التعريف بالرحلة ومكاسبها العلمية.

من هنا كان حضور المصنفات الرحلية بمختلف أشكالها ومضامينها حضورا قويا يزاحم المصنفات الإبداعية والعلمية الأخرى، غير أن ما يسترعي انتباه القارئ للمصنفات الرحلية، هو طغيان الوصف في نصوصها السردية، حيث لا يكاد يفصل فيها بين ما هو سردي وما هو وصفي.

ويعد كتاب "الإفادة والاعتبار" لمؤلفه عبد اللطيف البغدادي من أشهر المصنفات الرحلية التي تعود إلى القرن السادس للهجرة، ضمنه صاحبه فيضا من النصوص الوصفية التي تعكس مستوى الكتابة والذوق الفني للأديب. وقد ارتأينا في موضوع دراستنا تسليط الضوء على تقنيات الوصف في نصوص "الإفادة والاعتبار" بالتركيز على أنماط الوصف ووظائفه في الرحلة، فما هي أنماط الوصف الموظفة في كتاب "الإفادة والاعتبار" وما هي أبرز وظائفه الدلالية؟.

وقد اعتمدنا في معالجتنا لهذه الإشكالية على القراءة الفاحصة والعميقة لنصوص الرحلة من جهة، وعلى أهم المقولات الإجرائية في نظرية الوصف المعاصرة عند فليب هامون على وجه الخصوص من جهة أخرى، وتجدر بنا الإشارة إلى أن نص "الإفادة والاعتبار" يفرض علينا بين الحين والآخر الانقياد إلى خصوصيته كنص رحلي أكثر من الانقياد إلى الإجراء النظري المنتهج.

1- رحلة "الإفادة والاعتبار" لعبد اللطيف البغدادي(*):

كانت أشهر رحلات البغدادي تلك قصد فيها بلاد مصر، حيث شهد ما حدث بمصر من قحط ومجاعة عامي (597هـ-598هـ) وتمكن من نقل مشاهد الفاجعة ووصفها وصفا دقيقا، ليضمنها كتابه[1]. وسم كتابه بـ **"الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر"**، يقول شوقي ضيف: **"والكتاب طرفة من طرف كتب الرحلات، فإنه كان ناقدا بصيرا، وعالما فيلسوفا، فلم يصف ما شاهده فقط بل درسه ومحصّه"**[2].

قسمّ عبد اللطيف البغدادي كتاب "الإفادة والاعتبار" إلى مقالتين، خصّ المقالة الأولى بستة فصول، وخصّ المقالة الثانية بثلاثة فصول، كما هو مبين ضمن فهرس الكتاب على الشكل الآتي: [3].

المقالة الأولى (وهي ستة فصول)

- الفصل الأول: في خواص مصر العامة لها

- الفصل الثاني: فيما تختص به من النبات

- الفصل الثالث: فيما تختص به من الحيوان

- الفصل الرابع: في اقتصاص ما شوهد من آثارها القديمة

- الفصل الخامس: فيما شوهد بها من غرائب الأبنية و السفن

- الفصل السادس: في غرائب أطعمتها

المقالة الثانية: (وهي ثلاثة فصول)

- الفصل الأول: في النيل و كيفية زيادته وإعطاء علل ذلك وقوانينه

- الفصل الثاني: في حوادث سنة 597هـ

- الفصل الثالث: في حوادث سنة 598هـ

كما هو ملحوظ على فهرس الكتاب، تم تخصيص المقالة الأولى للحديث عن خواص مصر العامة، من نبات وحيوان، وآثار وعمران وسفن وكذا الأطعمة التي

تتميز بها، ليفرد البغدادي فصول مقالته الثانية للحديث عن النيل وقوانينه ثم ما حدث بمصر خلال سنتي 597هـ-598هـ.

2- أنماط الوصف في كتاب "الإفادة والاعتبار":

اختلفت الآراء وتباينت الدراسات التي تناولت موضوع الوصف وأنماطه فمن بلاغيين قدامى إلى نقاد معاصرين، حاول كل منهم وضع نظرية خاصة به يستند فيها إلى جملة من الطروحات المؤسسة في مجملها، وحتما لا نستطيع في هذه العجالة الوقوف على كل تلك الآراء والطروحات حول أنماط الوصف على وجه التحديد، لذا سنكتفي بالإشارة إلى نظرية "فيليب هامون" ووجهة نظره في تحديد أنماط الوصف ثم البحث في وظائفه من خلال إجراء تطبيقي مباشر على نص الرحلة "الإفادة والاعتبار" مع ضرورة الإشارة إلى خصوصية النص المقارب. فمن العناصر البنائية الوصفية للنص ما يستوعب أنماط هامون ومنها ما يفرض الخروج عنها وذلك لاختلاف نص الرحلة عن الرواية وباقي المرويات الواقعية الأخرى.

تأسيسا على ما سبق يمكننا تقسيم أنماط الوصف في الإفادة والاعتبار إلى أنماط رئيسية تندرج تحتها موضوعات الوصف المدرجة ضمن النمط وذلك على الشكل الآتي:

1.2- الوصف عن طريق القول: "Description de type dire**"**

يتضمن هذا النمط مقاطع الوصف التي تتوفر على أكثر من شخصية سردية أي متحدث ومستمع أو الواصف/ المتكلم ،والمتلقي/ المستمع ضمن فضاء واحد، حيث يكون الواصف عالما بموضوع الوصف مالكا لأساليبه التبليغية والتواصلية[4]. وضمن هذا النمط يندرج: **وصف الأفضية المكانية، وصف النبات، وصف الإنسان.**

أ- وصف الأفضية المكانية: كانت مختلف الأفضية المكانية بما تحويه من آثار وعمران ومنشآت، أكثر الموضوعات التي استحوذت على اهتمام البغدادي في رحلته منها فضاء الأهرامات التي أسهب في وصفها، وتحديد مقاساتها وأحجامها يقول: **"ورأيت بعض أرباب القياس قال ارتفاع عمودها ثلثمائة ذراع ونحو سبع عشرة ذراعا يحيط به أربعة سطوح مثلثات الأضلاع طول كل ضلع منها أربع مائة ذراع وستون ذراعا"**[5]. فهذا التحديد الوصفي الدقيق لهيكل أحد الأهرام ومقاسات زواياه ورد على لسان أحد خبراء وعلماء القياس وهو شخصية واصفة عن طريق قولها عارفة بموضوع وصفها معرفة دقيقة، نقلته مباشرة إلى شخصية مستمعة "الرحالة" وهو ما عبر عنه فيليب هامون بالتقاء شخصيتين في الوصف عن طريق القول هما: الواصف والسامع[6].

من ذلك ما ورد في سياق وصف إقليم مصر وأبرز مدنها **"حكى لي عن بعض جبال الإقليم الأول أن الرياح تأتيه وقت الزراعة بتراب كثير ثم يقع عليه المطر فيتلبد فيحرث ويزرع فإذا حصد جاءته رياح أخرى فنسفته حتى يعود أجرد كما كان أولا"**[7]. يرسم هذا المقطع الوصفي –وما سبقه- معالم توظيف تقنية الوصف لدى البغدادي؛ حيث ترد أكثر المقاطع الوصفية عن طريق القول مرتبطة بحركة السرد العامة وليست منفصلة عنها في شكل وقفات محدودة، وذلك لصعوبة الفصل بين ما هو سردي وما هو وصفي في نصوص "الإفادة والاعتبار".

ب- وصف النبات: أفرد البغدادي فصله الثاني من المقالة الأولى للحديث عن ما تمتاز به مصر من أنواع النبات، سيما تلك التي تستخدم في الطعام والطبخ واهتم بأشكالها وأصنافها، وكيفية زراعتها وغير ذلك. ضمن تلك المقاطع الوصفية يوظف نمط الوصف عن طريق القول: **"قال لي آخر إن نبات الزنجبيل يشبه نبات البصل مع أن القلقاس يكون في تلك البلاد وكأنه بستاني"**(8). يقوم هذا النص الوصفي على أبرز مستلزماته النمط الأول من الوصف وهو القول: **"قال لي"** وما ينطوي عليه من صيغ وعبارات **"يشبه نبات البصل"، "كأنه بستاني"** تصدر عن واصف خبير بنباتات مصر عامة، وبنبات الزنجبيل على وجه الخصوص، وقد استخدم صيغة التشبيه لتقريب صورته الحسية إلى ذهن الرحالة ومنه إلى القارئ.

ج- وصف الإنسان: لا شك أن فعل القول أو الرغبة فيه صادر عن شخصية سردية هي في الغالب "إنسان"، لذا فإن مهمة القول منوطة بالإنسان بدءا، وقد وردت مساحة وصفية "للإنسان" ضمن كتاب "الإفادة والاعتبار" تعلقت خاصة بالفصول الأخيرة من الكتاب والتي تروي الأحداث المأساوية التي مرت بها مصر وسكانها، **"قال أحدهم دخلنا مدينة فلم نجد فيها حيوانا على الأرض ولا في السماء فتخللنا البيوت فألقينا أهلها كما قال الله (عز وجل) (جعلناهم حصيدا خامدين) فتجد ساكن كل دار موتى فيها الرجل وزوجه وأولاده"**(9). وفي السياق نفسه يورد وصفا آخر ترمي ضلال المأساة على جميع أركانه **"حكى لنا رجل أنه كان له صديق أدقع في هذه النازلة فدعاه صديقه هذا إلى منزله ليأكل عنده على ما جرت به عادتهما قبل، فلما دخل منزله وجد عنده جماعة عليهم رثاثة الفقر وبين أيديهم طبيخ كبير اللحم وليس معه خبز فرابه ذلك وطلب المرحاض فصادف عنده خزانة مشحونة برمم الآدمي، وباللحم الطري فارتاع وخرج فارا"**(10). تتداخل حركة السرد مع تقنية الوصف في أكثر هذه القصص التي استدل بها "المؤلف" على مأساة مصر، حيث يكون موضوع الوصف فيها هو "الإنسان" في أسوأ صوره وأغرب ممارساته **"وبين أيدهم طبيخ كبير اللحم" "خزانة مشحونة برمم الآدمي"** لتعمل هذه المواصفات العجيبة على تجاوز الشخصية الموصوفة عالمها الواقعي، حتى وإن كان غرض الوصف إيهام القارئ بواقعية الأحداث.

2.2- الوصف عن طريق الفعل: " Description de type de faire **"**

أي وصف شخصية وهي تقوم بعمل أو فعل يدخل ضمن حركة السرد وذلك كي يكون إدراج الوصف في السرد مبررا وطبيعيا(11). وفي "الإفادة والاعتبار" العديد من نماذج هذا النمط الوصفي، حيث يمكننا تصنيفها على الشكل الآتي: **وصف الشخصيات، وصف الحيوان، وصف المشاهد الطبيعية.**

أ- وصف الشخصيات: من أمثلة وصف الشخصية وهي تفعل (تقوم بعمل ما) نجد: **"وفي بعض الليالي بعيد صلاة المغرب كان مع جارية فطيم تلاعبه لبعض المياسير فبينما هو إلى جانبها اهتبلت غفلتها عنه صعلوكة فبقرت بطنه وجعلت تأكل منه نيا"**(12). من الواضح في هذا النص أنّ المؤلف ركز على وصف أفعال الشخصية أكثر من تركيزه على الشخصية نفسها، وذلك تسليما منه بأن سمات الفعل تنسحب

وبشكل مباشر على الشخصية، فالأفعال: **اهتبلت، بقرت، تأكل...** تدل جليا على بشاعة الشخصية التي تحولت – بهذا الفعل- إلى حيوان مفترس ينقض على الفطيم دون رحمة أو تردد.

ب- وصف الحيوان: أفرد البغدادي فصلا كاملا للحديث عن أبرز حيوانات مصر وأشهرها فذكر أسماءها وأصنافها ومواطن تواجدها، وحتى الغريب منها. وقد ركز المؤلف في وصفه لبعض الحيوانات على ما تقوم به من أفعال، وهو ما يمكننا إدراجه ضمن نمط "الوصف الفعلي" منها: **"الحمير بمصر فارهة جدا وتركب بالسروج وتجري مع الخيل والبغال النفيسة ولعلها تسبقها"**(13).

ومن غريب ما أورد البغدادي في وصف أفعال الحيوان ما وسم به فرس البحر **"حيوان عظيم الصورة هائل المنظر شديد البأس يتتبع المراكب فيغرقها ويهلك من ظفر به منها"**(14). حيث إن فعل الإغراق والإهلاك يحول الموصوف "فرس البحر" إلى وحش قاتل ترتسم معالم وحشيته في ذهن السامع من خلال ممارسته وطباعه الوحشية.

لا يتسيج الوصف عن طريق الفعل ضمن دائرة: أفعال الإنسان والحيوان فقط، وإنما يتعلق بأشكال أخرى تحمل دلالة الحركة والفعل معا، كوصف المشاهد الطبيعية(15)، منها وصف مشهد امتداد مياه النيل بأرض مصر: **"اعلم أن نيل مصر يمد وقت نضوب مياه الأرض وذلك في شمس السرطان والأسد والسنبلة فيعلو على الأرض ويقيم أياما فإذا نزل عنها حرثت وزرعت ثم يكثر الندى في الليل جدا وبه يتغذى الزرع إلى أن يستحصد"**(16). يصف المؤلف مشهد النيل وامتداد مياهه وصفا دقيقا ينم عن معرفة عميقة بقانون النيل، هذا الأخير الذي حوله المشهد الوصفي إلى كائن حي، يقيم وينزل ويغذي الزرع، وذلك لأن **"بث الحياة في الشيء الموصوف يكسب الوصف حركية ويصيره مستساغا"**(17).

3.2- الوصف عن طريق الرؤية: "Description de type voir **"**

هو كل وصف عن طريق النظر أو الرؤية البصرية(18)، حيث يكون الموصوف ضمن المجال البصري للرائي، وحقيقة هذا النمط الوصفي أنه **"أكثر الطرق تداولا في بناء المقطع الوصفي لدى الكتاب"**(19). سيما الرحالة منهم، فلئن كان كاتب "الرواية" أو المسرحية يصف ما يرى وما لا يرى، فإن الرحالة لا يصف إلى ما يرى، وإن جنح إلى الخيال فإن مادة خياله تبقى في حدود ما رآه وعاينه؛ أي إنّه يصنع متخيله الذهني من خلال مشاهده البصرية، وهو ما لمسناه بشكل واضح في "الإفادة والاعتبار".

ضمن الوصف البصري تندرج أكثر النصوص الوصفية لرحلة "الإفادة والاعتبار" وذلك لأن الرحالة كان في معرض وصفه لكل ما يراه ويشاهده بصريا فتعددت بذلك موضوعاته البصرية لتشمل وصف الطبيعة وما فيها من حيوان ونبات وبحر وبر والمدن وما تحويه من منشآت وعمران وآثار، والأحداث وما تحمله من صور للتاريخ والمجتمع وغيرها. يوظف البغدادي في رحلته أكثر القرائن الدالة على الوصف البصري أو الرؤيوي وهي **"رأيت"** و**"شاهدت"** سواء أكان في موضع ثابت أو متنقل، وذلك على اعتبار أن الرائي الواصف **"يمكن أن يكون ثابتا في المكان**

مستقرا أو متنقلا متحركا"[20]. ولأن الرحلة تفرض الحركة والتنقل كانت أغلب مشاهده الوصفية عبر حركته وتنقله.

يمكننا حصر نماذج الوصف البصري في: **وصف الطبيعة، وصف الشخصيات، وصف الحيوان والنبات.**

أ- وصف الطبيعة العمرانية: منها المدن وما تحويه من آثار ومنشآت، وقد وقف عندها "المؤلف" كثيرا سيما ما يدخل منها دائرة العجائب المروية، كالأهرام والأصنام والبنايات الحجرية الضخمة وغيرها «**رأيت صنما وبين رجليه صنم متصل به صغير كأنه مولود بالقياس إليه وهو مع ذلك كأعظم رجل يكون وعليه من الملاحة والجمال ما يشوق الناظر إليه ولا يمل من ملاحظته**»[21]. يقوم وصف البغدادي للصنم على الرؤية البصرية التي تلتقط وتصور كل ما يدخل حيزها بدقة متناهية، حيث تبدأ عملية وصفه بمد بصره نحو أعلى التمثال/ الصنم ثم يتحرك بعينيه إلى أسفل التمثال، ليشد انتباهه صنم آخر أصغر من الأول، اتصل به اتصالا متينا حتى غدا **"كأنه مولود بالقياس إليه"**، أما أكثر ما شد رؤية الواصف إلى القسم فاستغرق حيزا زمنيا – مدة الوصف- لوصفه هو **"الملاحة والجمال"** وهما صفتان مميزتان للصنم، توحيان بالذوق الفني والجمالي لصانعه.

ينتقل البغدادي بين أشهر المدن المصرية فأخذ ببصره إلى كل عجائبها ومبانيها، كهذه الأصنام والتماثيل التي توجد بـ: الإسكندرية، عين شمس والجيزة ومصر القديمة والتي حفظت عجائب مصر الأثرية يقول البغدادي «**ورأيت أسدين متقابلين بينهما أمد قريب وصورهما هائلة جدا وقد حفظ فيهما النظام الطبيعي والتناسب الحيواني مع كونهما أعظم جثة من الحيوان الحقيقي جدا جدا، وقد تكسرا وردما بالتراب**»[22]. إن التماثل بين ما هو صناعي وما هو طبيعي يزيد "الموصوف" غرابة والواصف "ذهولا وانتباها"، فهما أسدان منحوتان يكاد الأسد منهما يطابق الأسد الحقيقي في صورته رغم أن تفاوت حجمهما واضح جلي **"أعظم جثة من الحيوان الحقيقي"**.

تتعدد المشاهد الوصفية البصرية لمعالم الآثار والعمران في كتاب "الإفادة والاعتبار" وقد ساعد على ذلك المعاينة والمشاهدة البصرية المباشرة لتلك الموصوفات، إضافة إلى حدة بصر "الرحالة" وسلامته من أي اضطراب، وهو ما يضمن دقة الوصف والتمثيل.

ب- وصف الشخصيات: تتمحور المقاطع الوصفية لشخصيات "الإفادة والاعتبار" والتي شاهدها ورآها الرحالة مباشرة حول تلك المشاهد المأساوية التي ندخلها بدورنا دائرة "عجائب المشاهدات" وذلك لأن الرحلة في أساسها «**تجميع لعجائب وغرائب الآخر، إنسانا وعمرانا وتاريخا، لاعتبارات يلتقطها الراوي الرحالة أو ينسجها فهي شيء غير مألوف يوضع دائما في المقارنة مع المألوف**»[23]. فالجوع والقحط والفقر المدقع مشاهد مألوفة عند البغدادي ولكن أثرها على الإنسان في العديد من بقاع مصر - خلال سنتي القحط- لم يكن مألوفا للواصف وللمتلقي معا، «**رأيت صغيرا مشويا في قمة، وقد أحضر إلى دار الوالي ومعه رجل وامرأة زعم الناس أنهما أبواه فأمر**

بإحراقهما»[24]. إنّ مشهدا وصفيا كالذي يصور إحراق الأم والأب لابنهما من أجل سدّ جوعهما أمر لا يقبله العقل والواقع وتنبذه الفطرة السليمة التي جبل عليها الإنسان فعبارة «**صغيرا مشويا في قمة**» عبارة وصفية موحية دالة – رغم قصرها- على بشاعة المنظر وعمق المأساة من جهة وعلى وحشية: **الأب/ الأم** من جهة أخرى.

أدرج "المؤلف" وصفه لشخصيات المأساة ضمن عجائب ما شاهده يقول: «**من عجيب ما شاهدت**»[25]. ولئن كانت عجائب الأهرام والتماثيل شدت بصره وألهمت قريحته، فإن عجائب الموتى والقتل كانت تجعله يفر من النظر إليها «**كثيرا ما كنت أفر من رؤيته لبشاعة منظره**»[26]. وهو ما حدّ من قدرة وصفه للمشاهد، فجاءت معظمها مختصرة موجزة.

03- وظائف الوصف في كتاب "الإفادة والاعتبار":

لاشك أن لتقنيات الوصف الموظفة داخل "نصوص الإفادة و الاعتبار" العديد من الوظائف الدلالية المنوطة بها، والتي سعى الكاتب لإيصالها عن طريق أنماط وصفه المختلفة. وكما تباين الدارسون في تحديد أنماط الوصف اختلفوا كذلك في إبراز وتحديد وظائفه تبعا لاختلاف نصوصهم المقاربة، ولطبيعة النص الرحلي سنحاول تجلية أبرز وظائف الوصف الرحلي معتمدين في ذلك على جملة من المصطلحات الوظائفية لعدد من النقاد.

بعد وقوفنا على النصوص الوصفية للإفادة والاعتبار أمكننا تحديد وظائف الوصف في: **الوظيفة الإخبارية ،الوظيفة الجمالية، الوظيفة التصويرية.**

1.3- الوظيفة الإخبارية: تقوم هذه الوظيفة على الإخبار والبيان[27]؛ أي بيان ما يتعلق بخاصيات ومميزات الشيء الموصوف[28]، وإننا لنجدها أكثر الوظائف تحققا في نصوص "الإفادة والاعتبار"، ذلك أنّ هدف المؤلف من تصنيفه الرحلة مدّ القارئ بمادة معرفية متنوعة وبيان تفاصيلها الدقيقة، لذلك قلما يجنح الكاتب إلى الترميز حيث يدفعه موقعه الإخباري التعليمي إلى التبسيط والإيضاح، من ذلك مقطعه الوصفي لطبيعة مصر الجغرافية «**إنّ أرض مصر من البلاد العجيبة الآثار الغريبة الأخبار وهي واد يكتنفه جبلان شرقي وغربي والشرقي أعظمهما يبتديان من أسوان ويتقاربان بأسنا حتى يكاد يتماسان ثم ينفرجان قليلا قليلا وكلما امتدا طولا انفرجا عرضا حتى إذا أزيا الفسطاط كأن بينهما مسافة يوم /.../ والنيل ينساب بينهما ويتشعب بأسافل الأرض وجميع شعبه تصب في البحر الملح**»[29]. يمثل هذا النص الوصفي لوحة فنية رسمها المؤلف بدقة متناهية وجعلها أول ما تفتتح به نصوص الرحلة، وهي مادة جغرافية دقيقة تمثل إحدى خواص مصر العامة، التي تنفرد بها عن غيرها من البلاد الأخرى، إنها واد يقع بين جبلين عظيمين يتقاربان شيئا وينفرجان شيئا آخر ونهر النيل ينساب بينهما محدثا تشعبات عديدة بأسافل الأرض.

إن دقة هذا الوصف ووضوح أساليب الإخبارية هو ما حقق وظيفة الإخبار والبيان ، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا.

2.3- الوظيفة الجمالية: تتحقق الوظيفة الجمالية أو الزخرفية عند جينيت، حين يقوم الوصف «**بعمل تزييني، وهو يشكل استراحة في وسط الأحداث السردية، ويكون وصفا خالصا لا ضرورة له بالنسبة لدلالة الحكي**»[30]. وفي هذا المعنى أطلق فيليب

هامون مصطلح **"الوظيفة التزيينية"**[31]. والحقيقة أن هذا المعنى للوظيفة الجمالية يسقط وبصورة أكبر على النصوص الروائية الأدبية الخالصة، أين تشكل معظم المشاهد الوصفية وقفات استراحة، لا ضرورة لها في سير الأحداث، أما الوصف في الرحلة فهو يختلف عنها من حيث أن السارد/ الرحالة يمزج بين السرد والوصف في مجمل محطات رحلته حتى لا نكاد نلمس فصلا بينهما إلا فيما ندر. من ذلك وصفه للمدافن الأرضية، وما تحويه من محنطات وقبور مختلفة، فيذكر تاريخها وتقاليد الدفن فيها ليقف بين الحين والآخر واصفا شيئا منها «**وهذا المومیا أسود كالقفر ورأيته إذا اشتد عليه حر الصيف يجري ويلصق بما يدنو منه**»[32]. وفي أصناف الحيوان الميتة يقول: «**ومن أعجب ما يوجد في مدافنهم أصناف الحيوان من الطير والوحش والحشرات وقد كفن الواحد منها في كذا كذا ثوبا وهو محتاط عليه محتفظ به**»[33]. وهي مقاطع وصفية على إيجازها شغلت حيزا أسلوبيا جماليا بين مقاطع السرد غير أنها لم تخرج عن إطاره فجاءت خادمة له.

3.3- الوظيفة التصويرية: تنبني نصوص الرحلة على تصوير العالم المعاين وتقديمه للقارئ، لينجح الرحالة بذلك في تمثيل العالم بواسطة لغته (نصوصه) تمثيلا موضوعيا دقيقا[34] وقد ذهب هامون إلى اعتبار الوظيفة التصويرية أكثر الوظائف التي تميز الوصف في الكتابات الواقعية[35].

إن أمثلة المشاهد الوصفية التصويرية في "الإفادة والاعتبار" عديدة منها تصوير البغدادي لأبي الهول: «**عند هذه الأهرام بأكثر من علوة صورة رأس وعنق بارزة من الأرض في غاية العظم يسميه الناس أبا الهول /.../ جثته بالنسبة إلى رأسه سبعين ذراعا فصاعدا وفي وجهه حمرة ودهان أحمر /.../ وهو حسن الصورة مقبولها عليه مسحة بهاء وجمال كأنه يضحك تبسما**»[36]. ركز هذا للوصف ذو الوظيفة التصويرية على تصوير ملامح أبي الهول وتقريبها للقارئ حتى يتسنى له رسم صورة تخييلية للموصوف من منطلق التمثيل الواقعي المباشر فـ: الرأس والعنق البارزة ولون الوجه كلها قرائن وصفية لموصوف واقعي، لا تحمل من المسحة التخييلية شيئا، لذا انحصرت مهمة الواصف في التصوير والتمثيل عن طريق اللغة لتبقى براعة التصوير والنقل تتفاوت بتفاوت درجات الكتابة والإبداع لدى كتاب الرحلات والقصص الواقعية.

خاتمة:

في ختام جولتنا البحثية أمكننا الخلوص إلى جملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- كتاب "الإفادة والاعتبار" نص رحلي أدبي وصفي، يفصح عن مستوى الكتابة الفنية والجمالية للكاتب.
- تعددت أنماط الوصف الموظفة في "الإفادة والاعتبار" فتراوحت بين الوصف عن طريق القول، الوصف عن طريق الفعل والوصف عن طريق الرؤية.
- ضمن هذه الأنماط الرئيسية للوصف تندرج أبرز موضوعات الوصف لدى البغدادي أهمها: وصف الإنسان/ الشخصية من حيث الأقوال (قال)، أو

الأفعال (فعل) أو الرؤية (رأى)، مثلما ورد في، وصف الأفضية المكانية وصف النبات، وكذا وصف الطبيعة الجغرافية والعمرانية.

- شغل نمط الوصف الرؤيوي أكبر مساحة في نصوص "الإفادة والاعتبار" عبر قرائن جلية من قبيل «**رأيت وشاهدت**»، وذلك لأنّ الرحلة فضاءات رؤيوية بالدرجة الأولى لذلك فهي تحيل إلى الواقع أكثر من جنوحها نحو الخيال.
- تراوحت وظائف الوصف في نصوص "الإفادة والاعتبار" بين الوظيفة الإخبارية المنوطة بنصوص الإخبار والإعلام وهي أكثر الوظائف حضورا والوظيفة الجمالية التي تعبر عن الأسلوب الجمالي واللعبة البلاغية التي تتخلل نصوص السرد مرتبطة به في أغلب المواضع غير منفصلة عنه إلا فيما ندر، ثم الوظيفة التصويرية القائمة على تصوير عالم الرحلة بمختلف معطياته الواقعية عن طريق اللغة وفنياتها.
- يبقى موضوع الوصف بأنماطه ووظائفه موضوعا مفتوحا متشعبا، حيث لم نستطع في هذه العجالة الإلمام بجميع تقنيات وآليات هذه النظرية سيما فيما يتعلق بنص رحلة "الإفادة والاعتبار" لذا نأمل أن تكون دراستنا نافذة عبور لطروحات جديدة تتناول ما تجاوزناه ولم نستطع مقاربته.

الإحالات:

(*)- عبد اللطيف البغدادي (557 هـ- ت 629هـ) أحد أشهر الرحالة المشارقة الذين عرفوا بعلمهم واتساع مداركهم الثقافية، فقد جمع بين الفقه والفلسفة والطب والأدب قصد العديد من بقاع العالم سيما العربي منه فمن بغداد إلى دمشق ثم القدس ومنها إلى مصر، لذا تعددت رحلاته ودوافعها. ينظر:فؤاد قنديل :أدب الرحلة في التراث العربي ط02، مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ،مصر، 2002م ص - ص:419 -421.

(1)- فؤاد قنديل : أدب الرحلة في التراث العربي ، ص: 422.

(2)- شوقي ضيف: الرحلات، ط04، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1987م، ص ص: 60-61.

(3)- عبد اللطيف البغدادي: كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، ط01، مطبعة وادي النيل، (د.م)، 1286هـ، ص: 04.

(4)- محمد نجيب العمامي: الوصف في النص السردي بين النظرية والإجراء، ط01،محمد علي للنشر، صفاقس، تونس 2010م، ص، ص: 74.

(5)- عبد اللطيف البغدادي: الإفادة والاعتبار، ص، ص: 24، 25.

(6) - Philippe Hamon, Texte et idéologie, PUF, 1984, P143.

نقلا عن:محمد نجيب العمامي: الوصف في النص السردي بين النظرية والإجراء، ص: 76 .

(7)- عبد اللطيف البغدادي: الإفادة والاعتبار ، ص: 06.

(8)- المصدر نفسه، ص: 12.

(9)- المصدر نفسه، ص: 53.

(10)- المصدر نفسه، ص: 50.

(11)- محمد نجيب العمامي: الوصف في النص السردي بين النظرية والإجراء، ص: 77.

(12)- عبد اللطيف البغدادي: الإفادة والاعتبار ، ص: 50.

(13)- المصدر نفسه، ص: 19.

(14)- المصدر نفسه، ص: 21.

(15)- محمد نجيب العمامي: الوصف في النص السردي بين النظرية والإجراء، ص: 78.

(16)- عبد اللطيف البغدادي: الإفادة والاعتبار ، ص: 44.

(17)- محمد نجيب العمامي: الوصف في النص السردي بين النظرية والإجراء، ص: 80.

(18)- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي الفضاء – الزمن – الشخصية، ط02 المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 2009م، ص: 180.

(19)- المرجع نفسه، ص: 180.

(20)- محمد نجيب العمامي: الوصف في النص السردي بين النظرية والإجراء، ص: 89.

(21)- عبد اللطيف البغدادي: الإفادة والاعتبار ، ص: 33.

(22)- المصدر نفسه، ص: 31.

(23)- شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي التجنس... آليات الكتابة... خطاب المتخيل، ط01، دار رؤية، القاهرة مصر، 2006م، ص: 463.

(24)- عبد اللطيف البغدادي: الإفادة والاعتبار ، ص: 49.

(25)- المصدر نفسه، ص: 54.

(26)- المصدر نفسه، ص: 52.

(27)- إبراهيم صحراوي: السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبنيات، ط01 منشورات الاختلاف، الجزائر 2008م، ص: 96.

(28)- محمد نجيب الهمامي: الوصف في النص السردي بين النظرية والإجراء، ص: 185.

(29)- عبد اللطيف البغدادي: الإفادة والاعتبار، ص: 05.

(30)- حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط03، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2000م، ص: 79.

(31)- محمد نجيب العمامي: الوصف في النص السردي بين النظرية والإجراء، ص: 174.

(32)- عبد اللطيف البغدادي: الإفادة والاعتبار، ص: 36.

(33)- المصدر نفسه، ص: 36.

(34)- محمد نجيب العمامي: الوصف في النص السردي بين النظرية والإجراء، ص: 188.

(35)- Philippe hamon : Du descriptif, P : 39

نقلا عن: المرجع نفسه،ص:188.

(36)- عبد اللطيف البغدادي: الإفادة والاعتبار، ص، ص: 26، 27.

المصادر والمراجع:

المصادر:

1- عبد اللطيف البغدادي: كتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، ط01، مطبعة وادي النيل، (د.م)، 1286هـ.

المراجع:

2- إبراهيم صحراوي: السرد العربي القديم الأنواع والوظائف والبنيات، ط01 منشورات الاختلاف، الجزائر 2008م.

3- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي الفضاء – الزمن – الشخصية، ط02، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 2009م.

4- حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط03، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، 2000م.

5- شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي التجنس... آليات الكتابة... خطاب المتخيل، ط01، دار رؤية، القاهرة مصر، 2006م.

6- شوقي ضيف: الرحلات، ط04، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1987م.

7- فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ط02، مكتبة الدار العربية للكتاب القاهرة، مصر، 2002م.

8- محمد نجيب العمامي: الوصف في النص السردي بين النظرية والإجراء، ط01، محمد علي للنشر، صفاقس، تونس 2010م.